

مدينة مراغة ودورها في الحركة العلمية في العصر الإسلامي (القرن السابع الهجري
أمودجا)

**The city of Maragheh and its role in the scientific
movement in the Islamic era**

رشا عبد الكريم فالح جامعة البصرة-مركز دراسات البصرة والخليج العربي- 

rasha.faleh@uobasrah.edu.iq العراق

تاريخ الارسال: 2024-02-19 تاريخ القبول: 2024-07-28 تاريخ النشر: 2024-09-26

Abstract

ملخص

The city of Maragheh is considered one of the Islamic cities of great importance, which had a major role in scientific life and its prosperity in the region, especially after the fall of Baghdad at the hands of the Mongols, which prompted scholars to find a safe place, so Maragheh was that place, and thus the migration of scholars to it helped to flourish scientifically there, as it is located In Azerbaijan, it was famous for its many farms and orchards, and it continued its scientific prosperity, as it flourished in all types of religious, intellectual, and mental sciences. Mosques were one of the places of scientific and intellectual prosperity until the Tatars entered them and destroyed the city.

Keys: Baghdad, Mongols, Azerbaijan, Abbasid Caliphate, mosques

تعتبر مدينة مراغة من المدن الاسلامية ذات الاهمية الكبرى والتي كان لها دور كبير في الحياة العلمية وازدهارها في المنطقة، وخاصة بعد سقوط بغداد على يد المغول، مما دفع العلماء إلى ايجاد مكان آمن، فكانت مراغة هي ذلك المكان، وبالتالي ساعدت هجرة العلماء إليها في الازدهار العلمي هناك، فهي تقع في اذربيجان وقد اشتهرت بكثرة المزارع والبساتين فيها، واستمرت بالازدهار العلمي، إذ ازهرت بكافة أنواع العلوم الدينية والفكرية والعقلية، وكانت المساجد أحد أماكن الازدهار العلمي والفكري إلى أن دخلها التتار فخرّبوها.

المفاتيح: بغداد، المغول، اذربيجان، الخلافة العباسية، المساجد.

مقدمة:

أثرت حضارة العرب في الكثير من البلدان العالم الإسلامي وبلدان أخرى، لما لهم من حضارة عريقة وخاصة للكثير من البلدان التي تم فتحها، بالإضافة إلى أن العرب قاموا بإنشاء الكثير من المدن في تلك البلدان المحررة والتي حملت أسمائهم ومنها مدن وأقاليم المشرق الإسلامي ومن أهم آثارهم نشر الدين الإسلامي، وانتشار مختلف العلوم والمعارف في تلك البلدان والتي كانت فيما بعد لها الدور الكبير في المساهمة في مختلف تلك العلوم والمعارف، وخاصة أن للدين الإسلامي الأثر الكبير في انتشار تلك العلوم والمعارف، فقد حث على التزود بمختلف أنواع العلم والمعرفة.

ومن هذه المدن مدينة مراغة التي أنشأها مروان بن محمد الأموي، ثم خزيمة بن خازم والتي أصبح لها دور فيما بعد في الحياة الفكرية والعلمية في القرون اللاحقة. إذ أن من جملة الأمور التي ساعدت على التقدم العلمي في مدينة مراغة، وبالأخص في القرون المتقدمة بسبب التأخر في النشاط العلمي الذي شهدته مدينة بغداد بعد الغزو المغولي لها سنة (656هـ/1258م)، وما لحق المدينة من خراب وفقدان الأمن، مما تسبب في هجرة علمائها إلى مراغة، بالإضافة لقيام العلماء في المدن الأخرى بالهجرة لمكان آمن، فكانت مراغة هي ذلك المكان الملائم. كما أنه من أبرز الأسباب التي ساعدت على التقدم العلمي في مدينة مراغة اهتمام المغول الواضح بها، واعتبارها مقراً إدارياً وعاصمة لإقليم أذربيجان؛ فتنوعت العلوم التي انتشرت في مدينة مراغة، كالعلوم الإسلامية والعلوم العقلية المختلفة، والنقلية التي اشتهرت بها المنطقة، فضلاً عن الحركة الأدبية التي نشطت هناك.

اشكالية البحث:

يعتمد البحث العلمي على إلمام الباحث بأهم الأسس والمفاهيم النظرية التي تستند عليها مشكلة البحث ومقدرته في تحديد البحث بشكل يمتاز بالشمولية؛ وبناء على هذا أن مشكلة البحث تم تحديدها كما يأتي:



ما هو الدور الذي لعبه العلماء العرب المسلمون في مختلف العلوم في البلدان التي انتقلوا فيها؟.

فرضية البحث:

حددت فرضية البحث بأن للعرب المسلمين دور كبير في تطور مختلف العلوم في البلدان التي دخلوها بمختلف المجالات.

أما أهم المصادر التي اعتمدت في البحث منها الكتب الجغرافية والبلدانيين مثل كتاب الاصلطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (المتوفي: 346هـ)، المسالك والممالك، وكتاب ابن حوقل، أبو القاسم (ت 367هـ)، صورة الأرض، أما من أهم الكتب التاريخية كتاب تاريخ اليعقوبي، أحمد بن يعقوب، ت 291هـ وكتاب البداية والنهاية لابن كثير، إسماعيل بن عمر، بالإضافة للعديد من كتب التراجم أهمها كتاب الذهبي. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/ 1347م): ميزان الاعتدال في نقد الرجال. بالإضافة إلى كتب اللغة والمصادر الأخرى مدينة مراغة ودورها في الحركة العلمية في العصر الإسلامي وقد تم تقسيم البحث إلى مبحثين كالتالي:

المبحث الأول:

1. نبذة تاريخية

2. إسم المدينة وموقعها:

المبحث الثاني:

الحياة العلمية وانتشار العلوم النقلية والعقلية

1. انتشار أماكن التعليم في مدينة مراغة

2. ازدهار الحركة الادبية في مراغة

3. انتشار مجالس الوعظ

4. ازدهارها بالعلوم النقلية

5. انتشار العلوم العقلية



1- نبذة تاريخية عن مدينة مراغة:

لقد كان للعرب المسلمون حضارة أصيلة امتدت إلى العديد من البلدان بحيث أثرت حضارتهم على البلدان التي افتتحوها والتي خضعت لنفوذهم، فلقد كان لهم دور في انشاء العديد من المدن داخل البلدان المحررة والتي تحمل أسماء غير عربية، فلقد نتج عن حركة الفتوحات الاسلامية لأقاليم ومدن المشرق الاسلامي آثارا مهمة، وفي مقدمة هذه الآثار نشر الإسلام في تلك المناطق وتنظيم الجوانب الحياتية لها، بما يتوافق مع مبادئ الإسلام حيث أصبحت تلك المدن بمثابة القواعد العسكرية لهم، الأمر الذي كان سببا مباشرا في بناء مثل تلك المدن في المنطقة لتكون أشبه بمقرات للجنود المعسكرة هناك ونقطة لانطلاقهم لتحرير بقية المناطق واخضاع المتمردين من السكان في حالة قيامهم بالثورات ضد الوجود العربي هناك.

كما أن الفتوحات التي قام بها العرب المسلمون لم تلحق أضرارا على المدن ولم يتم تدميرها أو حرقها أو تخريب معالمها العمرانية أو لضواحيها ومزارعها وحقولها الزراعية المنتجة أو تدمير قلاعها أو أسواقها وحصونها، بل على العكس فإن العرب المسلمين عندما دخلوا تلك المدن وأقاموا فيها معسكرات وأضافوا إلى تلك المدن ووحداتها العمرانية وحدات أخرى تتفق وتفكيرهم في تأسيس المدن وطوروا قدراتها الانتاجية والزراعية وأصبحت هذه المدن فيما بعد تلعب دورا متميزا في التاريخ العربي الاسلامي مثلما يذكر بعض المستشرقين (عبدالجبار ناجي، 2018، صفحة 392)

ومن هذه المدن مدينة مراغة التي انشأها مروان بن محمد الاموي ثم خزيمة بن خازم والتي أصبح لها دور فيما بعد في الحياة الفكرية والعلمية في القرون اللاحقة.

لعل من أهم الأسباب التي أدت إلى ذلك التقدم العلمي الكبير لمدينة مراغة وخصوصا في القرون المتقدمة هو ذلك التراجع في النشاط العلمي الذي شهدته مدينة بغداد بسبب الغزو المغولي له سنة (656هـ/1258م)، وما لحق المدينة من خراب وفقدان الأمن، مما تسبب بهجرة علمائها إلى مراغة، فضلاً عن تغير وجهة العلماء في المدن الاخرى الباحثين عن مكان آمن تتوافر

فيه فرص النشاط العلمي ومؤهلاته، فكانت مراغة هي ذلك المكان الملائم. ومن الأسباب الأخرى للتقدم العلمي في مدينة مراغة اهتمام المغول الواضح بها، واتخاذها مقراً إدارياً وعاصمة لإقليم أذربيجان؛ لقد تنوعت العلوم التي انتشرت في مدينة مراغة، كالعلوم الإسلامية والعلوم العقلية المختلفة، فضلاً عن الحركة الأدبية التي نشطت في الأخرى في تلك المدينة، كما تعددت مجالس الوعظ في مدينة مراغة من دلائل القبول الاجتماعي له والاهتمام بالجانب الديني والأخلاقي في تلك المدينة، كذلك كانت أماكن التعليم في مدينة مراغة مختلفة ومتعددة، كالمدارس والجوامع والرباط والزوايا ومنازل العلماء الخاصة وغيرها، بالإضافة لذلك وجود المراسد ومن بينها مرصد مراغة الذي يعد من أهم المنجزات العلمية والثقافية في القرن السابع الهجري، لأهميته الكبرى في الجانب الفلكي، فضلاً عن كونه أصبح مقصداً للعلماء الوافدين على مراغة للعمل به أو الاطلاع عليه؛ كما تعد مكتبة مراغة أحد أشهر المكتبات في العالم الإسلامي في العصور الإسلامية كافة، لكثرة الكتب القيمة بها ولدورها في نشاط الحركة العلمية.

1-1-. اسم المدينة وموقعها:

مراغة لغوياً: م ر غ، مرغة في التراب فتمرغ اي معك فتمعك والموضع متمرغ (الرازي، اسماعيل بن حماد، ، 1986، صفحة 293)، أما الصحاح في اللغة يمرغ: مرغته في التراب ومراغ ومراغه ومرت السائحة العشب تمرغه مرغاً (الجوهري، اسماعيل بن حماد،)، (الجوهري، اسماع، 1956، ، صفحة 1325). وهي بلدة مشهورة وهي من اعظم بلاد اذربيجان تقع على مسافة سبعين ميلاً جنوب تبريز (ياقوت الحموي، صفحة 13) (بكسر أولها وسكون ثانية وكسر الزاء وباء ساكنة من اشهر مدن أذربيجان فهي مدينة عامرة ذات خضرة واسعة واسوار محصنة اشتهر بها العديد من العلماء احتلها التتر وخربوا معالمها سنة 618هـ جرياً) (ياقوت الحموي، صفحة 93) ، وهي مدينة و محصنة وذات قلاع (الموصلي، 1992، الصفحات 324-325) ، كانت مراغة تدعى افراز هروذ فعسكر بالقرب منها مروان بن محمد بن الحكم عندما كان والياً على ارمينية واذربيجان عند منصرفه من احدى الغزوات (ت65هـ/ 689م) ابن أبي العاص بن اميه وهو

صحابي وكان من سادات قريش وفضلائها كان والياً على أرمينيا واذربيجان، عينه عبد الملك بن مروان (ياقوت الحموي، الصفحات 56-57) بعد غزوته (لموقان وجيلان) وموقان: ويسمونها (موغان) وهي ولاية فيها الكثير من القرى ومروج تستغلها التركمان للرعي في طبرستان (ياقوت الحموي) (ياقوت الحموي، صفحة 225) وأما جيلان في بلاد طبرستان، وهي قرى في مروج بين الجبال (ياقوت الحموي، صفحة 201). وكانت دوابه ودواب اصحابه تتمرغ فيها فظلوا يقولون اذوا قرية المراغة، وهذه قرية المراغة، فسميت بذلك (البلاذري يحيى بن أحمد، 1956، صفحة 325) (ياقوت الحموي، صفحة 93) (احمد، 2001، صفحة 488). وكان أهلها قد الجأوها إلى مروان فابتناها وكثر الناس فيها وعمرها وبعد انتهاء حكم الدولة الأموية أصبحت تابعة للخلافة العباسية (البلاذري يحيى بن أحمد، 1956، صفحة 337) وذكر ابن حوقل في كتابه عن مراغه (هي مدينة نزهة كثيرة البساتين والانهار والحياة والفواكه الحسنة والخيرات والغلات من جميع الجهات إلى كثرة الرساتيق والزروع....) (الموصلي، 1992، صفحة 93).

وهي مدينة من مدن إقليم اذربيجان وتقع على (أقصى الجنوب الغربي في بحر قزوين ويتصل من جهة الجنوب ببلاد الديلم ومن الغرب والشمال بأرمينيا ومدنها اردبيل ارميه، مرند، خوى، مراغة، تبريز) (اليقوي، 1860، صفحة 47).

فكانت مدينة تبريز هي قاعدة الإقليم ثم بعد ذلك مدينة مراغه في أواخر عهد العصر العباسي وبداية الایلخاني، أخذت مدينة مراغه لإحدى بنات الرشيد (170هـ-193هـ) (ياقوت الحموي، صفحة 93) (786م-808م)، وكان أميرها (الوالي) الوجناء بن رواد الازدي (ياقوت الحموي، صفحة 93)، أما المصادر الأخرى وما ذكرته عن هذه المدينة هي (مدينة كبيرة ونزهة ذات نعم ومياه جارية وبساتين نضرة وكان عليها سور حصين خربه ابن أبي الساج) (مجهول، 1423، صفحة 155)؛ وهذا مما يدل على أن هذه المدينة تحت سيطرة الإمارة الساجية.

بالإضافة للأهمية الاقتصادية لمدينة مراغة الاقتصادية فهي لا تقل عن أهميتها العسكرية إذ أصبحت مدينة زراعية تنتج أراضيها الخصبة مختلف أنواع الغلات الزراعية حتى وصفت بكثرة بساتينها ورساتيقها وتنوع فواكهها (الموصلي، 1992، صفحة 288) (المسالك والممالك،،

1961، صفحة 208) وتشتهر قرية (اردهر) وهي إحدى قرى مراغة بزراعة نوع من البطيخ الذي كان يسمى بـ(الاردهري) وهو بطيخ مستطيل الشكل داخله أحمر اللون وخرجه أخضر. ووصف بطيب طعمه وشدة حلاوته وقيل أنه كان يضاهي بطيخ خراسان (الموصلي، 1992، الصفحات 288-289) (الحميري، 2000، صفحة 288) (أبو الفداء اسمعيل بن علي، 1963، صفحة 399)؛ أما العمري، فذكر عن هذه المدينة (هي مدينة حسنة كبيرة نزهه الاقطار كثيرة البساتين والزرع والثمار) بأنها من قواعد أذربيجان وتقع غربي تبريز واعطيت إلى جنكيز خان بعد وفاة والده (مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري، 2010، صفحة 38).

2-1-فتح المدينة:

عندما فتح اقليم أذربيجان أصبحت أذربيجان من ضمن هذه الدولة العربية الإسلامية في خلافة عمر بن الخطاب (13_23هـ/ 631_641م)، وترجع الروايات المتعلقة بتاريخ الفتح (21_22هـ/ 639_640م) حيث توجه حذيفة بن اليمان (اليعقوبي، 1860، صفحة 48) (ت36هـ/654م) من نهاوند إلى أذربيجان وصالح حاكمها المزربان حذيفة عن جميع اهل أذربيجان على 800 ألف درهم على أن لا يقتل احد او يسببه (البلاذري يعي بن أحمد، 1956، الصفحات 335-336) (الذهبي، 1984، الصفحات 362-363)، وعين والياً عليها عتبة ابن فرقد السلمي (- عتبة بن فرقد بن يربوع بن حبيب بن رفاعة السلمي، أسلم قبل غزوة خيبر، شهد هذه المعركة مع رسول الله (ص) وشهد معركتين معه، وفتح في عهد عمر بن الخطاب (رض) في سنة 81هـ) (العسقلاني، 2008، الصفحات 77-97)، وكتب لأهلها الخليفة عمر أماناً وفرض عليهم جزية (فتوح البلدان، 1956، الصفحات 336-337).

أخذ الإسلام ينتشر بمدينة مراغة في عهد الخليفة عثمان بن عفان (23_35هـ/641_653م) خاصة بعد أن قام الوالي الاشعث بن قيس (يلقب بالكندي ويكنى بابن محمد وكان اسمه معدي كرم على اسم جده وفد على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) على رأس قبيلة كندة وأسلم كان موالياً لأُمير المؤمنين علي (عليه السلام) لكنه قلب عليه في أواخر حياة علي (عليه

(السلام) حيث كان معه في صفين وتوفي بعد الامام علي (عليه السلام) وقيل في عام 42هـ) (العسقلاني، 2008، الصفحات 181-182) (ت42هـ/662م) بتوطين عدد من العرب من أهل العطاء والديوان في أذربيجان وأخذ هؤلاء بالدعوة للدين الإسلامي بأمر منه (البلاذري يحيى بن أحمد، 1956، الصفحات 336-339)، استمرت ولاية الاشعث والياً لأذربيجان في عهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، إذ أسلم الكثير من سكانهم وأصبح عدد ليس بالقليل منهم حافظ للقرآن واستوطن في هذه المنطقة عدد كبير من أهالي البصرة والشام والكوفة مع بنو رواز وهم من قبائل الازد العربية ، وأذربيجان من فتوح الكوفة فبقت تابعة لوالي الكوفة لها أدارياً (البلاذري يحيى بن أحمد، 1956، صفحة 339) ، وفي سنة (83هـ/701م) قام عبد الملك بن مروان (65/86هـ/683_704م) بجعلها تابعة لوالي الجزيرة ادارياً (البلاذري يحيى بن أحمد، 1956، صفحة 332)، كما أضيفت أذربيجان لولاية ارمينا بزمان الخليفة هشام بن عبد الملك (105_125هـ/723_742م) (البلاذري يحيى بن أحمد، 1956، صفحة 93). أما في زمن الامير مروان بن محمد عام (114هـ/732م) أصبحت ولاية أذربيجان وأرمينيا والجزيرة تحت إمارته، كما قام ببناء داراً للأمانة وجعل منها معسكراً له .

وفي رواية أوردها ابن حوقل يذكر أن أهم المجمعات والابنية قد تم بنائها في المدينة (الموصللي، 1992، صفحة 288)، بالإضافة لبناء المساكن الخاصة بسكان المدينة خاصة العرب منهم وخاصة بعد استقرار الوضع الأمني هناك (اليقوبوي، 1860، صفحة 272). وازدهرت عملية البناء في المنطقة وخاصة في عهد الدولة العباسية وخاصة بعد أن أصبحت مراغة تابعة للدولة العباسية واعطيت لبعض بنات هارون الرشيد وقد أعد الرشيد أمراً إلى والي ارمينية واذربيجان في عهده وهو أبو خزيمه خازم بن خزيمه بن عبد الله النهشلي الدارمي التميمي (90-153هـ/708-770م) من قادة الدولة العباسية المشاركين في الحرب العباسية الأموية، والذي دعاه بالقيام لتحصين المدينة من خلال بناء الأسوار بها نتيجة لظهور العديد من المخاطر منهم (الرواد الازدي وأبناؤه وصدقة بن علي مولى الازد) فقام الأمير خزيمه



مما جعله لبناء الاسوار وتحصين المدينة وإنزال الجيش بأعداد كبيرة هناك (البلاذري يحي بن أحمد، 1956، صفحة 225) (ياقوت الحموي، صفحة 93).

فأمر عدد من عماله بترميم سور المدينة وتحصينه في خلافة الخليفة المأمون منهم علي بن هشام و الأمير أحمد بن محمد بن الجنيد (شاکر، 1997، صفحة 253) (البلاذري يحي بن أحمد، 1956، صفحة 225) (ياقوت الحموي، صفحة 93)، مما يعني الأهمية العسكرية والإدارية لمدينة مراغة ومن اهم المدن في أذربيجان واخذت شهرتها في كل انحاء البلاد (ياقوت الحموي، صفحة 93)

كما قام المغول بالهجوم على المدينة شأنها شأن المدن الإسلامية الأخرى في المشرق الإسلامي آنذاك، إذ قتل العديد من سكان المدينة وخربت بيوتهم. ففي عام "618هـ/1221م" وبعد أن تخلص التتر من السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد (هو علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش، كانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة وشهور. اتسع ملكه حتى تملك من العراق إلى تركستان وبلاد غزنة وبعض الهند وملك سجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبال وخراسان وبعض فارس، قبل ان توفي سنة (617هـ/1220م)) (ابن الاثير، 2002، صفحة 407)، توجهوا لمدينة مراغة فحاصروها ولم تكن تحت امرة أحد (رجب محمود إبراهيم بخيت، 2010، الصفحات 116-117) (الاشراف الغساني، 1975، الصفحات 383-384). وهذا ما أشار اليه ابن الاثير (ابن الاثير، 2002، صفحة 411) (ت630هـ/1233م)، فحاصروها وليس بها صاحب يمنعها، لأن صاحبها امرأة، تقيم بقلعة رويندز (قلعة رويندز: وهي قلعة من اعمال اذربيجان قرب تبريز) (ياقوت الحموي، صفحة 105)، فقاتلهم أهلها، ونصبوا عليها المجانيق وزحفوا إليها بالمجانيق وأقاموا عليها عدة أيام ثم ملكوا المدينة عنوة في نفس السنة، إذ نهبوا المدينة بعد أن قاموا بقتل العديد من سكانها وسفك دمائهم (ابن الاثير، 2002، صفحة 411) (الاشراف الغساني، 1975، صفحة 384) (حسن كريم الجاف، 2007، صفحة 264).

وقد وصف ابن الاثير تلك الفاجعة بقوله (ابن الاثير، 2002، صفحة 412) (وبلغني ان امرأة من التتر دخلت داراً فقتلت فيه جماعة وهم يظنونها رجلاً ثم وضعت السلاح



فإذا هي امرأة، فقتلها رجل أخذته أسيراً وسمعت من بعض أهلها أن رجلاً من التتر دخل درباً فيه مائة رجل، فما زال يقتلهم واحداً واحداً حتى أفناهم ولم يمد أحد يده إليه بسوء).

إذ أصبحت المدينة في عهد المغول مدمرة بشكل كامل لكن السلطان جلال الدين بن خوارزمشاه (هو جلال الدين بن علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تكش الخوارزمي، كان التتر قد قهروا أباه حتى شردوه في البلاد فمات ثم حاربوا جلال الدين فقاومهم بشدة حتى وصفه البعض قائلاً هو سد ما بيننا وبين التتر كما ان السد بيننا وبين يأجوج ومأجوج، الا ان التتر تمكنوا من هزيمة عسكره فتفرقوا عنه ثم قتله احد الفلاحين بأرض ميفارقين سنة (628هـ/1231م)) (ابن كثير، 1988، صفحة 132) عند دخوله اليها سنة "622هـ/1225م" قام بإعادة إعمار المدينة وإزالة جميع مخلفات الدمار بها (ابن الاثير، 2002، صفحة 499) (الاشراف الغساني، 1975، صفحة 403).

احتلها التتر سنة (628هـ/1231م) وملكوها وأصبح أهلها تحت امرتهم بعد أن وعدوهم بالأمان فأشار ابن الاثير لذلك (ابن الاثير، 2002، صفحة 491): (.... فبذلوا لهم الأمان وتسلموا البلد وقتلوا فيه الا انهم لم يكثروا القتل وجعلوا في البلد شحنة وعظم حينئذ شأن التتر واشتد خوف الناس منهم)، وخلال سنة (656هـ/1258م)، أصبحت مراغة مركز مهم للتجارة وعاصمة لأذربيجان خاصة بعد سقوط الخلافة العباسية على إثر الغزو المغولي لبغداد (الرفيعي عبدالقادر، 2002، الصفحات 139-140).

2- الحياة العلمية في مراغة:

تعتبر مدينة مراغة من المدن الإسلامية التي ذاع صيتها في فترات لاحقة ونشاطها العالمي بشكل كبير، فتوجهت إليها انظار العديد من العلماء الذين كانوا قاصدين مكاناً آمناً وخاصة بعد سقوط بغداد على يد المغول، فشد العديد من العلماء والمفكرين اليها الرحال باحثين عن مكان آمن وبذلك بدأت مرحلة جديدة لمراغة، إذ شهدت ازدهاراً علمياً وحضارياً كبيراً وخصوصاً تطورها بمجال العديد من العلوم النقلية والعقلية في وقت لاحق.



كان للدور الكبير الذي لعبته مدينة مراغة في دفع حركة العلم للأمام من خلال تشجيع الحركة العلمية ان ظهر اهتمام ملحوظ من خلال وجود العديد من المدارس فيها ومن أهم تلك المدارس مدرسة (إحمدك) التي تم بنائها قبل سنة (529هـ/1134م) إذ تعد من المدارس التي كان لها شهرة واسعة في تلك الفترة (ناجي معروف، 1973، صفحة 111)، ومن المدارس المهمة الأخرى في تلك المرحلة مدرسة القاضي التي نسبت للقاضي كمال الدين محمد بن عبد الحميد القزويني الفقيه المدرس فهي مدرسة قام بأنشائها صاحب مراغة عز الدين ابو الحارث أرسلان للشافعية قبل سنة (605هـ/1208م) (ناجي معروف، 1973، صفحة 124)، كما وجدت العديد من المدارس الأخرى في تلك الفترة التاريخية ولقد وصف ذلك ياقوت الحموي إذ قال: "وبها أثار وعمائر ومدارس وخانكاهات حسنة" (ياقوت البغدادي، 2006، صفحة 93).

إذ يعتبر سقوط الخلافة العباسية "656هـ/1258م" بعد الغزو المغولي لبغداد، من العوامل المهمة التي كان لها أثرها الواضح في التطور والازدهار العلمي الذي شهدته مدينة مراغة والمكانة العلمية المهمة نتيجة الهجرة الكبيرة للعلماء من بغداد باحثين عن الأمن والاستقرار لمزاولة أعمالهم وكذلك اهتمام الايلخانيين المغول بها وجعلها عاصمة لإقليم أذربيجان كان لها أثره الكبير في هذا الازدهار والتقدم بالمنطقة آنذاك.

وهذا ظهر واضحاً من خلال الشهرة التي اشتهرت به مدينة مراغة في القرن السابع الهجري في مجال العلوم كافة إذ اخذ العلماء والمفكرين بالتوجه اليها ولقد وصف ياقوت الحموي ذلك (626هـ/1229م) (ياقوت البغدادي، 2006، صفحة 93) بوصفه للمدينة أيامه: (... ولم تزل قصبته وبها أثار وعمائر ومدارس وخانكاهات حسنة وقد كان فيها أدباء وشعراء ومحدثون وفقهاء).

ومن المذاهب التي كانت منتشرة في مدينة مراغة بين سكانها هو المذهب الحنفي، فقد شهدت في القرن السابع الهجري توجه العلماء اليها من كل المذاهب الإسلامية الذين قدموا اليها من كل مكان لنشر علومهم وافكارهم فضلاً عن قدوم الأدباء وعلماء العلوم العقلية اليها خاصة بعد تأسيس المرصد فيها خلال سنة (657هـ/1259م) (الصفدي، 1999، صفحة 147)



ولا ننسى ما للحوادث السياسية أثرها الكبير في المنطقة وخاصة حادثة سقوط بغداد بعد الاحتلال المغولي سنة (656هـ/1258م) إذ توجهت انظار العديد من العلماء إلى مراغة فجذبت العلماء إليها إذ ظهر ذلك جلياً من العدد الكبير من العلماء الذين توجهوا لها، وأيضاً علماء المدن الإسلامية الأخرى، وهذا ما ظهر واضحاً من خلال العلماء الذين تواجدوا بها، منهم كمال الدين أبو الفرج اسماعيل بن أبي بكر الايجي (ت698هـ/1299م) إذ يعتبر من أبرز الأدباء والحكماء الذين جاءوا لمراغة واستوطنتها واشتغل على أتمتها واعجب بنشاط الحركة العلمية بها لا سيما خزائن كتبها فقال: (لولا اتصالي بمراغة لأقمت ببغداد) (ابن الفوطي، 2006، الصفحات 128-129).

وهذا يبين لنا الأهمية العلمية والشهرة الواسعة التي وصلت إليها مدينة مراغة إذ شهدت ازدهاراً ملحوظاً بمختلف النواحي العلمية والثقافية آنذاك، فتميزت عن بقية المدن الإسلامية بهذا التطور الكبير.

2-1- انتشار أماكن التعليم في مدينة مراغة:

إذ تعددت أماكن التعليم في مدينة مراغة حال العديد من المدن الإسلامية، فإلى جانب الجوامع والمدارس كان هناك الزوايا والمكاتب ودور العلماء الخاصة وغيرها، كان جامع مراغة من أماكن التعليم في مراغة، إذ كان تعقد به بعض حلقات التعليم فضلاً عن كونه مكاناً تلقى به الخطب والمواظب بصورة مستمرة؛ وممن خطب بجامع مراغة عز الدين أبو الفضل يحيى بن فضل الله الساجوساني (ت384هـ/994م)، ويعتقد بأنه أول من خطب بجامع مراغة لما تمصرت في أيام نصير الدين الطوسي (اليافعي، 1998، صفحة 366)

وتعد المدارس أهم أماكن التعليم في مدينة مراغة، فهي الأكثر نظاماً لتعلم مختلف العلوم. ومن تلك المدارس المدرسة الصدرية التي درس بها فخر الدين أبو مسعود منصور بن محمد الكازروني بعد قدومه إلى مراغة سنة (664هـ/1266م) (اليافعي، 1998، صفحة 212) وربما تنسب تلك المدرسة إلى مجد الدين محمد بن خليفة بن ألب ارسلان الرومي، الملقب بالصدر المعظم إذ ذكر ابن الفوطي (اليافعي، 1998، صفحة 512) في ترجمته: (...سكن

مراغة وله بها مدرسة مجاورة للجامع). فيتحمل انه قصد بالمدرسة التي له المدرسة الصدرية الأنفة الذكر، مدرسة الخليفة (ابن العديم، 2008، صفحة 4341)، أشار إليها ابن الفوطي عند ترجمته لأحد العلماء وهو مظهر الدين ابو المعالي مطهر بن سيف البخاري (ت681هـ/1282م)، قائلاً: (...ورد مراغة فتولى عمل ثالثة في مدرسة الخليفة، وتكلم فأحسن وخلع عليه من ملابسه) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 314).

كذلك كانت هناك بمراغة مدرسة المحيية، انشأها محيي الدين ابو محمد الحسن بن صدر الدين محمد المراغي قاضي مراغة. وهي من المدارس الجميلة، وقد وقف عليها مؤسسها الوقوف الجليلة، وكانت وفقاً على الأشاعرة من فقهاء الشافعية (ابن الفوطي، 2006، صفحة 55) وب نفس الاسم (المدرسة المحيية) كانت هناك مدرسة أخرى بسوق مراغة تنسب لأبنة محيي الدين أبي حامد يحيى بن صدر الدين محمد بن عبد الله المراغي القاضي (ابن الفوطي، 2006، صفحة 118). ولا نعرف هل هي المدرسة نفسها التي أسسها أبوه والتي ذكرناها قبل هذه المدرسة، أم هي مدرسة أخرى بالاسم نفسه.

وإلى نصير الدين محمد بن محمد الطوسي (ت672هـ/1273م) تنسب أهم المدارس التي أنشأت في مدينة مراغة وذلك بعد بنائه المرصد سنة (657هـ/1259م)، فقد وصفت بأنها أول أكاديمية علمية وأول جامعة حقيقية (الرفيعي عبدالقادر، 2002، صفحة 146)، إذ عمد نصير الدين الطوسي على إنشاء مدارس تدرس بها مختلف العلوم كالفلسفة والفقه والحديث والطب وغيرها، وخصص مبالغ مالية تصرف يومياً لمن يقوم بالتدريس بها، ففي دار الحكمة يصرف للفلاسفة لكل واحد في اليوم ثلاثة دراهم، وفي دار الطب للحكيم درهمان باليوم، ومدرسة للفقه لكل فقيه بها في اليوم درهم، ودار حديث لكل محدث نصف درهم في اليوم (ابن كثير، 1988، صفحة 224)، إذ فسر أحد الباحثين ذلك التفاوت في المخصصات إلى رغبة الطوسي بتشجيع بعض العلوم لتعويض النقص في اختصاصاتها بعد ان كان التدريس مقتصرأ على بعض العلوم الدينية دون غيرها من العلوم ذات العلاقة بتطور المجتمع (الجابري، صفحة 201).



بالإضافة لقيام بعض العلماء في مراغة بجعل مكتبتهم الخاصة مكاناً لإلقاء المحاضرات والدروس ففي ترجمة له لأحد العلماء وهو كمال الدين أبو الفرج إسماعيل بن أبي بكر بن أبي إسماعيل (ت 698هـ/1299م)، قال ابن الفوطي (ابن الفوطي، 2006، الصفحات 127-128): (... قدم مراغة واستوطنها، واشتغل على ائمتها، وكان له بها مكتب يعلم فيه اولاده الاكابر الأدب، وكان جميل الاخلاق ظاهر البشر كريم الصحبة).

بالإضافة إلى أن بعض العلماء جعل من بعض الحوانيت مكاناً يجتمع به العلماء ومن هؤلاء كمال الدين أبو الفضل عمر بن علي بن سالم البلخي (ت 666هـ/1268م)، قال عنه ابن الفوطي (ابن الفوطي، 2006، صفحة 212): (... كان شيخاً عاقلاً قد سافر بلاد العرب والعجم واستوطن مراغة إلى أن توفي بها، وكان له حانوت يجتمع عنده الأكابر والعلماء وكان حلو المحاضرة طيب المفاكهة، رأيته وكتبت عنه بمراغة سنة أربع وستين)، بالإضافة لاستخدام الزوايا مكاناً للتعليم في مراغة، فهي فضلاً عن كونها مركزاً لتعبد الصوفية (المقريزي، 2019، صفحة 292)، فإنها أيضاً كانت مكاناً للتعليم والوعظ الديني (مجهول، 1423، صفحة 254). ومن الزوايا التي كان يرتادها بعض العلماء في مراغة، زاوية تعود لكمال الدين أبي عبد الله أحمد بن عمر المراغي (ت 685هـ/1286م)، وهو من أعيان الصوفية، ومن ذوي العلم والمعرفة أشار ابن الفوطي إلى تلك الزاوية بالقول: (ان زاويته كانت محط الرحال من فضلاء الزمان، يأوي إليه الحكماء ويلتجئ اليه وفي زاويته اشتغل محيي الدين محمد بن يحيى بن المحيا العباسي بالجلوس في الخلوة سنة خمس وسبعين...) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 109)

كذلك كانت زاوية الشيخ صواب في مراغة من الاماكن التي أقام بها الصوفية لتلقي العلوم الدينية ومنهم علم الدين أبو يعقوب إسحاق بن محمد بن موسى العراقي الذي قدم مراغة سنة (656هـ/1267م) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 506).

كما كانت هناك زاوية بمراغة أقام بها موفق الدين أحمد بن موسى المعروف بابن النقيب الحلبي الصوفي، وهذه الزاوية بنهر أباد من نواحي مراغة وقد وصف ابن الفوطي ابن النقيب



الحلي بالقول: (كان عنده تحصيل وأدب ومعرفة، كتبت عنه وكان يكتب مليحاً، أنشدني بمرآة سنة احدى وسبعين وستمائة..) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 593).

ومن أماكن التعليم في مرآة أيضاً، مجلس نصير الدين الطوسي، إذ كان مركزاً لحضور العلماء والتقائهم والبحث والمناظرة والتعلم فيه مختلف العلوم (ابن الفوطي، 2006، صفحة 411)، ووجد بعض المؤسسات الثقافية في مرآة كان لها الدور الكبير في ازدهار الحركة العلمية بها ومنها: _

أ- مرصد مرآة: _ تكمن أهمية المرصد بمراقبة تحركات النجوم والكواكب وابعادها، فضلاً عن معرفة عرض البلد ودائرة الميل والتحول الاعتدالي وغير ذلك من الظواهر الفلكية (سعيد عبد الفتاح عاشور، 2018، صفحة 112)، إذ كان له من الأهمية الكبير في حياة البشر التي من خلاله يستطيع التنبؤ بالأحوال المناخية والظواهر الطبيعية؛ ويرجع اهتمام المسلمين العرب بالمرصد لزمن الخلافة العباسية في زمن الخليفة العباسي المأمون (198-218هـ/813-832م)، فقد أشارت العديد من الروايات التاريخية إلى أن من أولى المراصد رصد وضع في الاسلام كان بدمشق سنة (214هـ/828م) (ابن شاعر الكتبي، 1974، صفحة 255) (الصفدي، 1999، صفحة 905) ثم كانت مراصد أخرى وهي المرصد البتاني في الشام والرصد الحاكمي بمصر ومرصد بني الأعلم ببغداد (ابن شاعر الكتبي، 1974، صفحة 255)

وعند هجوم المغول على بغداد وسقوط الخلافة العباسية سنة (656هـ/1258م)، والخراب الذي خلفه الغزو المغولي على المدن الإسلامية، اقترح نصير الدين الطوسي على هولاكو إنشاء مرصد عظيم على تل شمالي مرآة، مستغلاً مكانته لديه، فاقنع هولاكو بعد أن أكد له الطوسي أن القائد المنتصر يجب أن لا يقنع بالتخريب فقط (عبدالله نعمة، 2011، صفحة 542): لذلك أمر ببناء المرصد وزوده بالآلات المهمة ونقل إلى مكتبته آلاف الكتب الفلكية، وقرر بالرصد المنجمين والفلاسفة والفضلاء (الصفدي، 1999، صفحة 147) (العبري، 2007، صفحة 506) (إبراهيم السامرائي، 1961، صفحة 371)



فلقد بدأ العمل ببناء المرصد سنة (657هـ/1259م)، واستمر البناء خمسة عشر عاماً، إذ تم بناء المرصد في السنة نفسها التي توفي بها نصير الدين الطوسي (672هـ/1273م) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 489) (الصفدي، 1999، صفحة 967) (عبدالله نعمة، 2011، صفحة 545) وأصبحت مراغة موقعاً إدارياً وحضارياً مهماً وازدادت شهرتها أكثر بذلك الرصد (محمد، صفحة 247).

ولبيان كيفية إقناع نصير الدين الطوسي لهولاكو بأهمية المرصد نذكر هذه الرواية التي تشير إلى براعة وذكاء نصير الدين الطوسي، تقول الرواية: (لما أراد نصير الدين الطوسي العمل بالمرصد، رأى هولاكو ما ينصرف عليه فقال له هذا العلم المتعلق بالنجوم ما فائدته أرفع ما قدر أن يكون؟ فقال انا أضرب لمنفعته مثلاً، القان يأمر من يطلع إلى أعلى هذا المكان ويدعه يرمي من أعلاه طست نحاس كبيراً من غير أن يعلم به أحد ففعل ذلك فلما وقعت الطست كانت له وقعة عظيمة هائلة روعت كل من هناك وكاد بعضهم أن يصعق، وأما هولاكو فإنهما ما تغير عليهما شيء لعلمهما بأن ذلك يقع، فقال له هذا العلم النجومي له هذه الفائدة يعلم المتحدث فيه ما يحصل للغافل الداهل منه، فقال هولاكو لا بأس بهذا، وأمر بالشروع فيه) (الصفدي، 1999، الصفحات 147-148).

بعدها استدعى نصير الدين الطوسي العديد من العلماء من المدن الإسلامية للعمل بالمرصد ومن ضمن هؤلاء العلماء كانوا من مدينة مراغة الذين هاجروا منها فشهدت مراغة نشاطاً علمياً واضحاً، وتدفق للعلماء من كل بلد للعمل بها كل ذلك بفضل المرصد الذي بناه نصير الدين الطوسي.

ولعل من أبرز العلماء الذين اعتمد عليهم الطوسي بشكل مباشر في بناء المرصد، فخر الدين أبو الفضل عبد العزيز عبد الجبار الخلاطي، الذي كان حاذقاً بعلم الطب، قرأ على الشيخ مذهب الدين علي، وتوفي بمدينة مراغة سنة (680هـ/1281م) (ابن الفوطي، 2006، الصفحات 44-45).



ومن العلماء الذين عملوا بالرصد، نذكر أيضاً مؤيد الدين برمك بن المبارك الدمشقي العرض الذي قيل أنه برع في الهندسة وآلات الرصد، وتوفي سنة (664هـ/1265م) (الصفدي، 1999، صفحة 967) (الخوانساري، صفحة 293)؛ كما كان نجم الدين القزويني من علماء المرصد، وهو أبو الحسن علي بن عمر بن الكاتبي، الذي وصف بأنه من فضلاء العصر وأعلمهم بالمنطق والهندسة وآلات الرصد. توفي سنة (657هـ/1276م) (الصفدي، 1999، صفحة 170).

ب- مكتبة مراغة: والتي تعتبر من المؤسسات العلمية والثقافية والفكرية المهمة في مدينة مراغة اذ تضمنت أعداداً كبيرة وأنواعاً مختلفة من الكتب وبمختلف أنواع العلم والمعرفة. وتولى خزانة الكتب بها عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد البغدادي المعروف بابن الفوطي (ت723هـ/1323م). الذي يعد من مؤرخي وعلماء بغداد، أسره المغول بعد احتلالهم بغداد سنة (656هـ/1258م)، وخلصه نصير الدين الطوسي، فأخذ عنه علوم الأوائل كما برع في الفلسفة والتاريخ وغيرها. واشتغل على غيره في اللغة والأدب، ولقد أشارت المصادر التاريخية (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، 1998، صفحة 1493) (عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، 2005، صفحة 347) (ابن عماد الحنبلي، 2006، صفحة 60) أنه باشر كتب خزانة الرصد بمراغة أكثر من عشرة أعوام، وذلك بإشراف مباشر من نصير الدين الطوسي (ابن كثير، 1988، صفحة 313)، وقد ضمنت المكتبة ما يزيد على أربعمئة ألف مجلد، وهي مما نهب من بغداد والشام والجزيرة (ابن شاعر الكتي، 1974، صفحة 252)

إذ أشار العديد من الباحثين بالمجهود المميز الذي بذله ابن الفوطي لإنشاء هذه المكتبة، بعد أن قام بجولات شخصية للمدن التي تعرضت للدمار بسبب الغزو المغولي قام من خلالها بشراء الكتب التي سرقت من المكتبات بسبب حالة الفوضى وانعدام الأمن فقال: (... ومن المحتمل جداً أن نصير الدين الطوسي قام سواء بجولاته الشخصية في بعض المدن والبلدان، أم من خلال وكلائه بشراء الكثير من تلك الكتب ونقلها إلى مكتبة التي انشأها في مراغة بالإشارة إلى ما ذكره بعض المؤرخين في هذا الصدد من أنه ملأ خزائنه العظيمة الواسعة من الكتب التي



نهبت من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على أربعمئة ألف مجلد، وبذلك يكون الطوسي قد أسدى خدمة عظيمة للعلم والعلماء بجمعه ذلك التراث الإسلامي من الضياع وصيروته في مكان خاص ينتفع به أهل العلم، فضلاً عما قام به من دور كبير في حفاظه على الكثير من مكتبات بغداد من عبث الغزاة والسراق وتعيينه من تولى إدارتها والإشراف عليها ومن ثم هياً الأرضية الملائمة لاستمرار الحركة في بغداد بعد الغزو المغولي) (الجابري، 2009، صفحة 211).

2-2- ازدهار الحركة الادبية في مراغة:

كما نشطت الحركة الادبية في مراغة وعلوم اللغة العربية بكافة فروعها كالشعر والنثر والخطابة والكتابة وغيرها في مدينة مراغة، إذ حضر الكثير من اللغويين والعلماء والأدباء لمدينة مراغة فقد قصدها العلماء من مختلف المدن الإسلامية ناقلين معهم الكثير من مؤلفاتهم، فلقد كانت اللغة العربية منتشرة بشكل كبير هناك، ويصاغ بها كثير من الأدب والثقافة (براون، 2022، صفحة 591).

ومن العلماء المشهورين والبارزين في مراغة والذي يعتبر بأنه تميز بحسن خطه وسهولة العبارة، وأنه اكتب أهل زمانه بالعربية والفارسية منهم عز الدين أبو محمد عبد الصمد بن عبد الله بن الحسين المراغي المنشأ (ت619هـ/1222م) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 224) ومن الشعراء البارزين الذين قصدوا مدينة مراغة قادمين إليها من بغداد مجد الدين أبو المظفر بهزاد بن بدل بن إسماعيل البسوي (ت666هـ/1268م)، الذي كان شاعراً فاضلاً إذ سكن بغداد ومن ثم توجه لمراغة فانتقل هناك نتاجه الأدبي، فذكر عنه بأنه كان مليح النظم بالفارسية وكثير الحفظ (ابن الفوطي، 2006، صفحة 411) (الطهراني، 1986، صفحة 961). ومن الأدباء الآخرين الذين حضروا لمراغة من الأدباء معين الدين محمد بن علي بن عبد الله الشيرازي، وذلك سنة (670هـ/1272م)، إذ مدح نصير الدين الطوسي، وله ديوان باللغة الفارسية (الطهراني، 1986، صفحة 1078)، ومن علماء اللغة العربية في مراغة، قطب الدين أبو المظفر أحمد بن محمود البنكاتي الناسخ (كان حياً سنة 671هـ/1273م)، إذ اشتهر بجمال

الخط وصحة الضبط كتب العديد لنفسه ولغيره من تصانيف نصير الدين الطوسي في مراغة لما قدمها سنة (671هـ/1273م)، كما اشتهر بحفظه وإنشاده الأشعار (ابن الفوطي، 2006، صفحة 418). ومن الشعراء الذين قدموا لمدينة مراغة اسماعيل بن علي بن أبي عبد الله الاقساسي الحسيني (كان حياً سنة 675هـ/1277م)، وهو أحد فقهاء الشيعة، فضلاً عن كونه ناظماً للشعر، وقد زار مراغة سنة (675هـ/1277م)، ولقيه ابن الفوطي هناك وروى عنه شعراً (السبحاني، 1993، الصفحات 47-48)

2-3- انتشار مجالس الوعظ:

كما امتازت مراغة بوجود مجالس الوعظ إذ انتشرت الكثير من مجالس الوعظ في العديد من المدن الإسلامية، ومن ضمنها مدينة مراغة، إذ حث الدين الإسلامي على الوعظ قال تعالى: {ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم} (سورة النساء، الآية 66)، كما كان النبي (صلى الله عليه واله وسلم) يعظ أصحابه مواعظ وصفت بأنها تخشع لها القلوب وتذرف منها العيون (الخالدي، 2015، صفحة 201).

إذ حث العلماء على عقد مجالس الوعظ لما فيها من فوائد عظيمة، قال القرطبي (القرطبي، 2003، صفحة 12) (ت671هـ/1392م): _ (على الناس ان يعالجوا قساوة قلوبهم بحضور مجالس العلم والتذكر والتخويف والترغيب وأخبار الصالحين، فإن ذلك مما يلين القلوب وينصع فيها).

إذ تعتبر مجالس الوعظ من أوجه النشاط العلمي، فهي بالإضافة عن أهميتها الدينية والاجتماعية لتقويم سلوك الانسان وتشجيعه على الالتزام الديني والأخلاقي، فهي من جانب آخر تدفع بعجلة التقدم العلمي إلى الامام، فالوعظ لابد أن تتوفر بهم معرفة بالعلوم الإسلامية، فهم يستدلون بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية. إذ قال ابن الجوزي (ت597هـ/1200م): (لا ينبغي أن يقصَّ يعظَّ على الناس إلا العالم المتقن فنون العلوم، لأنه يسأل عن كل فن، فإن الفقيه إذا تصدر لم يكذب يسأل عن الحديث، والمحدث لا يكاد يسأل عن الفقه، والواعظ يسأل عن كل علم، فينبغي أن يكون كاملاً).

إذ أصبحت مدينة مراغة من أهم المدن الإسلامية التي تميزت بظهور واضح لنشاط مجالس الوعظ، فمن أبرز الوعاظ الذين زاروا مراغة ووعظوا بها، فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين القرشي التيمي الشافعي (ت 606هـ/1209م)، الذي حضر لمدينة مراغة اذ ودرس لمدة طويلة بها فدرس علم الكلام والحكمة، فضلاً عن الوعظ. قيل عنه في ذلك: (وله في الوعظ اليد البيضاء، ويعظ باللسانين العربي والأعجمي، وكان يلحقه الوجد حال الوعظ، ويكثر البكاء) (اليافعي، 1998، صفحة 7) (السبكي، 1988، صفحة 86)

2-4-ازدهارها بالعلوم النقلية:

أما شهرتها بالعلوم النقلية ويقصد بالعلوم الإسلامية علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه وعلم الكلام، ويقدم علوم القرآن الكريم على باقي العلوم الإسلامية لأهميتها ولكون القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وعليه تعتمد بقية العلوم الإسلامية فالفقيه مثلاً يستنبط منه الأحكام الشرعية وهكذا بقية العلوم وأهم علوم القرآن علم القراءات وعلم التفسير (ابن جماعة، 2017، صفحة 38) (جلال الدين السيوطي، 1989، صفحة 2)

أما الحديث النبوي أو السنة النبوية فهو كل أثر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من قول أو فعل أو تقرير، وعلومه متعددة منها معرفة رجال الحديث وعلم غريب الحديث وعلم علل الحديث وغيرها، كذلك يعد الفقه من العلوم الشرعية وهو العلم بالأحكام الشرعية العلمية المكتسبة من أدلتها التفصيلية بالاستدلال، أما علم الكلام والذي يسمى أيضاً بعلم أصول الدين، فهو العلم الذي يهدف إلى إثبات العقائد الدينية والمذهبية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها. وقد اختلف علماء المسلمين حول عدة العلوم الإسلامية أم لا، كما اختلفوا حول شرعية العمل به (الذهبي، 1984، صفحة 286)

إن الازدهار الواضح في تلك العلوم قد ألقى بظلاله من خلال العديد من العلماء المسلمين الذين قصدوا مدينة مراغة في القرون اللاحقة، منهم العالم فخر الدين أبو عبد الله محمد بن



عمر بن الحسين التيمي البكري الذي كان شافعي المذهب، والذي عرف بفخر الدين الرازي (ت606هـ/1209م) الذي يعتبر واحداً من أحد العلماء البارزين في عصره في ذلك الوقت، إذ قام بالتصنيف في مختلف مجالات العلوم الإسلامية منها تفسير القرآن الكريم، والمطالب العالية في علم الكلام وشرح الوجيز في الفقه للغزالي وغيرها من العلوم الكثير التي كان لها أثرها الكبير (اليافعي، 1998، الصفحات 6-7) (السبيكي، 1988، صفحة 87)

وهذا ما أشار اليه اليافعي (اليافعي، 1998، الصفحات 7-8) (ت768هـ/1366م) إذ قال عنه: "كان صاحب وقار وحشمة وممالك وثروة وبزة حسنة وهيئة جميلة، إذا ركب مشى معه نحو ثلاث مائة مشتغل على اختلاف مطالعهم في التفسير والفقه والكلام والأصول والطب وغير ذلك..).

إذ اتجه فخر الدين الرازي لمراغة في طلب علم الخلاف، وعقد بها م (ابن الفوطي، 2006) جالس هناك، قبل أن يغادرها متجهاً إلى خوارزم وما وراء النهر ومن ثم هراة، حيث توفي هناك سنة (ت606هـ/1209م) (اليافعي، 1998، صفحة 8) (براون، 2022، صفحة 615)، كما أن هناك الكثير من العلماء البارزين الذين شدوا رجالهم لمراغة في هذا القرن، منهم عبد الرحمن بن ابراهيم بن أحمد بهاء الدين الحنبلي (ت624هـ/1227م)، الذي اشتهر عنه الاهتمام الشديد بالكثير من العلوم الإسلامية، وقد ذكر هو عن نفسه فقال: (كنت أحب كتاب الحديث، فلو كتبت النهار كله لم أضجر، وربما سهرت من أول الليل فما أشعر إلا بالصباح) (الذهبي، 1984، صفحة 195).

ومن العلماء المشهورين في تلك الفترة والذين قصدوا مدينة مراغة أيضاً من العلماء المسلمين والمفكرين غياث الدين أبو الفضل محمد بن محمد الأرموي (كان حياً سنة 666هـ/1268م)، إذ يعتبر من أهم القراء والحفاظ والمحدثين من أهل أرمية، إذ كانت فترة مجيئه لمراغة سنة (ت666هـ/1268م). وقد قال عنه ابن الفوطي بمدحه (ابن الفوطي، 2006، صفحة 459) (723هـ/1323م): (كان شيخاً حسن الهيئة دائم الصمت، حسن السميت، ذكر لي أنه أقام ببغداد مدة وسمع بها الحديث سنة خمسين وستمائة).



ومن أشهر العلماء المسلمين الذين كان أثرهم الواضح في التقدم العلمي والثقافي وازدهار الحركة العلمية في مراغة خلال القرن السابع الهجري، والذين كانت لهم بصماتهم الواضحة في الحياة العلمية منهم، نصير الدين الطوسي، وأسمه محمد بن الحسن (ت672هـ/1273م) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 319)، إذ يعتبر من العلماء البارزين ولقد قيل عنه اذ وصف بأنها من أكثر علماء عصره براعة بالعلوم العقلية والنقلية (الخوانساري، صفحة 280)، فكانت بدايته الاشتغال في علم الأوائل وصنف في علم الكلام (ابن كثير، 1988، صفحة 268)، فقد برع نصير الدين الطوسي في العديد من العلوم منها علم الحديث والفقه والكلام والفلسفة بالإضافة إلى العلوم العقلية، إذ ذكر عنه أنه منح اجازة في الحديث في مدينة مراغة للكثير من العلماء منهم كمال الدين الحسيني الآبي (ابن الفوطي، 2006، صفحة 155).

كما أن هناك المزيد من العلماء الذين قصدوا مدينة مراغة خلال تلك الفترة من القرن الهجري الذين قاموا بعقد العديد من المجالس العلمية آنذاك، منهم الأمير المبارك أبو المناقب ابن الخليفة العباسي المستعصم بالله (ت677هـ/1278م) الذي حدث عن أبيه بمراغة (الذهبي، 1984، صفحة 175). وخصوصاً بعد المكوث بها قادماً من بغداد بعد الغزو المغولي لها سنة (656هـ/1258م)، فقد كان شديد الاهتمام بعلم الحديث، وقد سمع منه ابن الفوطي بمراغة سنة (666هـ/1268م) (مجهول، 1423، صفحة 328). وكذلك حدث ولده ابو نصر محمد بن المبارك عن أبيه المبارك بمراغة سنة (679هـ/1280م) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 255).

كما زار مراغة من المحدثين والفقهاء عماد الدين محمد بن الاشرف المرندي الشافعي (ت680هـ/1281م)، الذي كان مدرساً بالمستنصرية سمع صحيح البخاري على محمد بن القطيعي شيخ دار المستنصرية، ثم توجه إلى مراغة وهناك كتب بالإجازة لأبن الفوطي (علي الميلاني، 1997، الصفحات 369-370).

كما أن هناك العديد من العلماء الذين قدموا لمدينة مراغة وأقاموا العديد من المجالس العلمية بها، منهم شرف الدين ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم أبو اسحاق الزنجاني الشافعي

(ت683هـ/1284م)، إذ حدث بمراغة وتبريز بكتاب الأنوار واللمعة في الجمع بين الصحاح لمؤلفه تاج الدين الساوي، وسمع منه صاحب شمس الدين محمد الجويني واولاده (البغدادى، 2002، الصفحات 7-8).

أما من العلماء والفقهاء من اهل مراغة منهم قطب الدين أبا الخير أحمد بن نجم الدين ابي المظفر فضل الله بن عماد الدين القزويني نزيل مراغة وقاضيها (ت683هـ/1284م)، اذ كان من بيت الحكم والقضاء والعدالة تولى قضاء مراغة ونواحها سنة (648هـ/1250م)، قال عنه ابن الفوطي :- (كان حسن السميت، جميل الأخلاق، سديد الفتوى، مشغولاً بما يعنيه وهو ما بصده من تنفيذ الامور والنظر في قضايا الجمهور ومطالعة التفاسير والاخبار والمسائل الفقهية رايته في حضرة مولانا السعيد نصير الدين وحضر مجلسه غير مرة بمراغة..) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 360)

وأيضاً من القراء البارزين من قراء مراغة منهم، صفي الدين خليل بن ابي بكر بن محمد بن صديق أبو الصفاء المراغي المقرئ الحنبلي (ت685هـ/1286م)، الذي قرأ على التقي بن باسويه وسمع من القاضي أبي القاسم عبد الصمد ابن الحرستاني، وتفقه على الشيخ موفق الدين المقدسي، وكان عارفاً بالقراءات، عالماً بمسائل الخلاف (عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، 2005، الصفحات 316-317) (ابن عماد الحنبلي، 2006، الصفحات 390-391).

ولا ننسى أيضاً أن مراغة اشتهرت بالعديد من المؤرخين البارزين بها والذين انتقلوا من مراغة لبلدان كثيرة والذين لهم العديد المؤلفات المهمة ومنهم من قصدها، منهم أبو الفرج غريغوريوس بن اهرن بن توما الملطى، المعروف بابن العبري، وهو مؤرخ سرياني مستعرب الذي عمل بالطب والفلسفة والمنطق بالإضافة لكتابه التاريخ اتجه إلى مراغة وتوفي بها سنة (685هـ/1286م)، ونقل جثته إلى الموصل.

إذ ترك لنا العديد من المؤلفات اشتهرها تاريخ مختصر الدول ذكر فيه شرح للغزو المغولي لبغداد سنة (656هـ/1258م)، مستفيداً من معلومات لنصير الدين الطوسي الذي كتب عن تلك الحادثة وكان أيضاً موجوداً في مراغة كما هو معلوم (الجابري، 2009، صفحة 217).



بالإضافة إلى أنه كتب رسالة في النفس الانسانية وخواصها، وشرح قانون الطب لابن سينا وعدد كبير؛ وقصد مراغة الكثير من المؤرخين غير ابن العبري منهم محمد بن علي بن محمد بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت709هـ/1309م)، فقد قصدها أواخر القرن السابع الهجري أي سنة (696هـ/1297م) وألف كتاب الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ويعتبر مصنفه من المصنفات المهمة في التاريخ الاسلامي.

كذلك من المؤرخين الذين قصدوا مدينة مراغة في تلك الفترة بقوا فيها مدة طويلة، منهم المؤرخ عبد الرازق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الصابوني كمال الدين بن الفوطي البغدادي (ت723هـ/1323م)، فبالرغم من أنه توفي في القرن الثامن الهجري، لكنه كان له الأثر الكبير في الجانب العلمي لمراغة خلال القرن السابع الهجري فقد التحق بأستاذه نصير الدين الطوسي في مراغة سنة (660هـ/1262م)، إذ كانت مدة إقامته حوالي ثلاثة عشر سنة تقريباً، ولقد عمل في مكتبة خزانة الرصد (الصفدي، 1999، الصفحات 62-63). سمع ابن الفوطي عن محيي الدين الجوزي ومبارك بن المستعصم (الذهبي، 1984، صفحة 1494)، إذ برع في العديد من العلوم منها علوم الفلسفة والنجوم واللغة والأدب والشعر فضلاً عن علم التاريخ (عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، 2005، صفحة 374) (ابن عماد الحنبلي، 2006، صفحة 30)، كما عمل خازناً في كتب مكتبة المستنصرية سنة 679هـ.

أما من أهم مصنفات ابن الفوطي (مجمع الآداب في معجم الاسماء والألقاب) وكتاب (درر الأصداف في غرر الأوصاف) وكتاب (الدرر الناصعة في شعر المائة السابعة) وكتاب (التاريخ على الحوادث إلى خراب بغداد) (الصفدي، 1999، صفحة 63). توفي ابن الفوطي سنة (723هـ/1323م) في بغداد.

2-5- انتشار العلوم العقلية:

تعتبر مدينة مراغة من المدن الإسلامية التي اشتهرت بالكثير من العلوم، ومن أهم تلك العلوم العقلية إذ شهدت مدينة مراغة نشاطاً كبيراً في العلوم العقلية، كالهندسة والطب والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم الأخرى.

إذ ظهر الكثير من العلماء الذين برعوا في العلوم العقلية منهم، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت606هـ/1209م)، فلقد درس العلوم العقلية على يد مجد الدولة الجيلي بمدينة مراغة (اليافعي، 1998، الصفحات 6-7) (السبكي، 1988، صفحة 8)، قبل أن يصبح من العلماء البارزين هناك في مختلف العلوم، كما قام بعقد العديد من المجالس العلمية في الكثير من مدن بلاد فارس، كما وتعلمذ على يديه الكثير من العلماء منهم زين الدين الكشي وشهاب الدين النيسابوري والقطب المصري، واشتهر العالم فخر الدين الرازي بعبقريته بعلوم الفيزياء والفلك بالإضافة للطب، إذ يعتبر من أوائل العلماء الذين قالوا بنظرية الورود في الضوء من المبصرات إلى العين وفي كيفية الإبصار، أما من أهم الآثار التي خلفها لنا كتبه في المباحث الشرقية، وفي الرياضيات مصادرات اقليدس، وفي الفلك رسالة في علم الهيئة والعديد من المؤلفات الأخرى العديدة (السبكي، 1988، صفحة 87)

ومن العلماء البارزين الذين حضروا لمدينة مراغة منهم، مؤيد الدين برمك بن المبارك الدمشقي العرضي (ت664هـ/1265م)، الذي اشتهر بعلم الهندسة وآلات الرصد، وقد استعمله نصير الدين الطوسي عند بنائه الرصد في مراغة سنة (657هـ/1259م) (الخوانساري، صفحة 293).

ومن العلماء المهمين والبارزين في مدينة مراغة ومن ضمن الذين اختارهم نصر الدين الطوسي بمرصده، فخر الدين ابو الفضل عبد العزيز بن عبد الجبار بن عمر الخلاطي (ت680هـ/1281م). الذي اشتهر ببراعته في الطب ولقد توفي بمراغة سنة (680هـ/1281م) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 55).

ومن العلماء البارزين الذين حضروا مدينة مراغة في علم الهندسة والحساب وبالإرصاد والأبعاد وتقويم الكواكب منهم محي الدين أبو الشكر يحيى بن محمد بن أبي الشكر التونسي المغربي (ت682هـ/1283م) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 117) إذ قال ابن الفوطي: (اتصل بخدمة مولانا السعيد نصير الدين ابي جعفر وصار من حكماء الرصد، وصنف وقدم بغداد إلى خدمة الصاحب شرف الدين هارون بن الصاحب شمس الدين ثم عاد إلى مراغة واشتغل

عليه الاصحاب والغرباء، ولم يزل مقيماً بمراغة وله بها الحرمة الوافرة والادرار السلطاني إلى أن مات شهر ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وستمئة).

كما برز فخر الدين ابو الحسن علي بن تاج الدين الحسين بن علي الدامغاني (ت686هـ/1287م)، فقد سكن مدينة مراغة وبرز بعلم النجوم بالإضافة لكونه شاعراً باللغتين العربية والفارسية توفي فيها سنة (686هـ/1287م) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 80) خاتمة:

يتضح لنا من خلال البحث المتقدم للدور الكبير الذي لعبته مدينة مراغة في تقدم الحركة العلمية فالفتوحات التي قام بها العرب المسلمين لم تؤثر على المدن أو تدميرها أو تخريب معالمها العمرانية أو لضواحيها أو تدمير قلاعها أو أسواقها وحصونها بل على العكس فإن العرب المسلمين عندما دخلوا تلك المدن واتخذوا فيها معسكرات أضافوا إلى تلك المدن ووحداتها العمرانية وحدات أخرى تتفق وتفكيرهم في تأسيس المدن وطوروا قدراتها الانتاجية والزراعية وأصبحت هذه المدن فيما بعد تلعب دوراً متميزاً في التاريخ العربي الاسلامي والتي أصبح لها دور فيما بعد في الحياة الفكرية والعلمية في القرون اللاحقة.

ومما ساعد على لعب مدينة مراغة على الدور الكبير في الحياة العلمية التأخر العلمي مدينة بغداد بسبب الغزو المغولي له سنة (656هـ/1258م)، وما لحق المدينة من خراب وفقدان الأمن، مما تسبب بهجرة علمائها إلى مراغة، فضلاً عن تغير وجهة العلماء في المدن الأخرى الباحثين عن مكان آمن تتوافر فيه فرص النشاط العلمي.

يتبين لنا وجود مكتبة مراغة إحدى أشهر المكتبات في العالم الإسلامي في العصور الإسلامية كافة، لكثرة الكتب القيمة بها، ولا يخفى الدور الكبير الذي لعبته المدارس والمراصد التي أشرف عليها نصير الدين الطوسي (ت672هـ-1273م) وأثرها في إنعاش الحياة العلمية فيها، وبالتالي نشاط الحركة الأدبية وازدهار العديد من العلوم في مدينة مراغة، منها العلوم النقلية والعلوم العقلية المختلفة.



قائمة المصادر والمراجع:

- حسن كريم الجاف. (2007). تاريخ ايران. السعودية: الدار العربية للموسوعات.
- عبدالله نعمة. (2011). فلاسفة الشيعة. بيروت: دار الفكر اللبناني.
- إبراهيم السامرائي. (1961). دراسات في اللغة. بغداد: مطبعة العاني.
- ابن الاثير. (2002). الكامل في التاريخ. لبنان: دار الكتب العلمية.
- ابن العربي. (2007). مختصر الدول. لبنان: دار المشرق.
- ابن العديم. (2008). بغية الطلب في تاريخ حلب. سوريا: دار الفكر.
- ابن الفوطي. (2006). تلخيص مجمع الاداب في مجمع الألقاب. دمشق: وزارة الثقافة والارشاد القومي.
- ابن جماعة. (2017). تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم. السعودية: دار البشائر العربية.
- ابن حجر العسقلاني. (2008). الاصابة في تمييز الصحابة. القاهرة: ./.
- ابن حوقل البغدادي الموصلي. (1992). صورة الارض. لبنان: دارمكتبة الحياة للطباعة والنشر.
- ابن شاکر الکتبي. (1974). فوات الوفيات. بيروت: دار صادر.
- ابن عماد الحنبلي. (2006). شذرات الذهب في أخبار من ذهب. لبنان: دار ابن كثير.
- ابن كثير. (1988). البداية والنهاية. ./: ./.
- أبو الفداء اسمعيل بن علي. (1963). تقويم البلدان. بغداد: مكتبة المثنى.
- أبو عبد الله القرطبي. (2003). التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة. مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع: السعودية.
- أبوبكر البغدادي. (2002). تاريخ مدينة السلام تاريخ بغداد وذيله والمستفاد. بيروت: دار العرب.
- الاشراف الغساني. (1975). العسجد المسبوك. بغداد: دار البيان.
- الاصطخري. (//). المسالك والممالك. ./: ./.
- الاصطخري. (1961). المسالك والممالك. مصر: ./.
- البلاذري يحيى بن أحمد. (1956). فتوح البلدان. القاهرة: ./.
- الجابري. (2009). نصرالدين الطوسي. العراق: المركز العربي للدراسات الاستراتيجية.
- الجوهري، اسماعيل بن حماد، (، الجوهري، اسماع، 1956،)، ، الصحاح، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، ، لبنان: دار العلم للملايين، لبنان، 1956، .
- الحميري. (2000). الروض المعطار في خبر الأقطار. مصر: المكتبة الشاملة.
- الخالدي. (2015). سنن أبي داود.



- الخوانساري. (بلا تاريخ). روضات الجنات.
- الذهبي. (1984). سير الأعلام. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الذهبي، محمد بن احمد. (2001). سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الارناؤوط، . لبنان: مؤسسة الرسالة .
- الرازي، اسماعيل بن حماد. (. 1986). مختار الصحاح، . لبنان، : طبع دائرة المعاجم في مكتب النيل، مكتبة لبنان.
- الرفيعي عبدالقادر. (2002). العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية. بيروت: مطبعة الفرات.
- السبكي. (1988). طبقات الشافعية الكبرى. السعودية: هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الصفدي. (1999). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. لبنان: دار إحياء التراث العربي .
- الطهراني. (1986). الذريعة إلى تصانيف الشيعة. إيران: اب طهراني.
- العمري، ابو الفضل الله شهاب الدين. (2010). مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري. بيروت: دار الكتب العلمية.
- المقريزي. (2019). الخطط. القاهرة: مطبعة النيل.
- اليافعي. (1998). مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان. بغداد: كتب تراث.
- اليعقوبي، يعقوب احمد بن اليعقوبي. (1860). اليعقوبي، احمد بن يعقوب، ت 291هـ، تاريخ، مطبعة بريل، ليدن، 1860م، ص 47. لبنان: ، مطبعة بريل، ليدن،.
- براون. (2022). تاريخ الأدب في إيران. مصر: مطبعة السعادة.
- بيلي برايسون، و اسامة محمد اسير. (2017). موجز تاريخ كل شيء تقريبًا (الإصدار الثانية). القاهرة: العبيكان للنشر.
- جعفر السبحاني. (1993). موسوعة طبقات الفقهاء. لبنان: دار الاصول.
- جلال الدين السيوطي. (1989). الإتقان في علوم القرآن. مصر: الهيئة العامة المصرية للكتاب.
- رجب محمود إبراهيم بخيت. (2010). تاريخ المغول وسقوط بغداد. بغداد: دار مكتبة عدنان.
- سعيد عبد الفتاح عاشور. (2018). دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية. مصر: دار المعرفة الجامعية.
- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. (1998). تذكرة الحفاظ. لبنان: دار الكتب العلمية،.
- عبد الرحمن بن أحمد بن رجب. (2005). الذيل على طبقات الحنابلة. الرياض: مكتبة العبيكان.
- عبدالجبار ناجي. (2018). دراسات في تاريخ المدن الاسلامية. بيروت: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع.

- علي الميلاني. (1997). شرح منهاج الكرامة للرد على ابن تيمية. محمد. (بلا تاريخ). المدن العربية.
- مصطفى شاكور. (1997). المدن في الاسلام. سوريا: دار طلاس للدراسات والنشر والترجمة.
- مؤلف مجهول. (1423). ، حدود العالم من المشرق الى المغرب، تحقيق وترجمة عن الفارسية يوسف الهادي.، القاهرة: دار الثقافة والنشر.
- ناجي معروف. (1973). علماء النظاميات ومدارس الشرق الاسلامي. بغداد: مطبعة الارشاد.
- ياقوت البغدادي. (2006). معجم البلدان. لبنان: دار صادر.
- ياقوت الحموي. (بلا تاريخ). ، معجم البلدان.، لبنان: ، معجم البلدان.،

